



مظاهر حضارية من مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين آخر أمراء غرناطة

**Civilizational aspects of the diaries of Prince Abdullah bin Bilqin, the last  
princes of Granada**

عبد الصمد حمزة. عبد العزيز حاج كولة

جامعة يحيى فارس بالمدينة

e-mail :hamza.abdo1978@gmail.com

e-mail :hadjkoula82@gmail.com

تاريخ القبول : 2019-12-30

تاريخ الاستلام : 2019-07-22

## الملخص:

تعتبر مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين الزيري الذي حكم غرناطة بين سنتي 469-483هـ، من بين أهم الكتابات الشخصية التي وفرت مادة تاريخية مهمة عن فترة حاسمة من تاريخ بلاد الأندلس، وهي فترة حكم ملوك الطوائف، ذلك أنها صدرت عن شخصية كان لها دور فاعل في هذه الأحداث وهو أمير مملكة بني زيري بغرناطة ولأنه شاهد عيان ومؤثر في وقائع وأحداث تلك الحقبة، وقد احتوت هذه المذكرات إلى جانب عنايتها بالواقع السياسي على جوانب حضارية مهمة اعتنى المؤلف بذكرها، أو تم ورودها في سياق ذكره للأحداث.

وستحاول في هذه الدراسة استقراء هذه المذكرات لاستخراج واستنباط المظاهر الحضارية التي تم التطرق إليها، وهدفنا هو تبين أهمية المذكرات في توثيق التاريخ الحضاري خاصة في بلاد الغرب الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: مملكة غرناطة، بن بلقين، مذكرات، مظاهر حضارية.

**Abstract :**

The memoirs of Prince Abdullah bin Bilqin al-Ziri, who ruled Granada between (469-483H), are among the most important personal writings that provided an important historical material about a crucial period in the history of Andalusia, the reign of the kings of the sects. It was issued by a figure who played an active role in these events He is the prince of the kingdom of Beni Ziri in Granada and because he is an eyewitness and influential in the events and events of that period. These memoirs, along with their attention to political reality, included important civilizational aspects that the author mentioned or which were mentioned in the context of his mention of the events.

In this study, we will attempt to extrapolate these memos to extract and deduce the civilizational aspects that have been touched upon, and our goal is to show the importance of the memoirs of the documentation of civilizational history, especially in the West Islamic country.

**Key words :** kingdom of Granada, Ibn Belkin, the memoirs, civilizational aspects.

بلقين الزيري آخر ملوك غرناطة، يجب أولاً  
التعريف بالكاتب الذي أهملته المصادر وذلك

قبل التطرق للمظاهر الحضارية التي  
يمكن استنباطها من مذكرات الأمير عبد بن

يعود أصل الأمير عبد الله بن بلقين إلى زيري بن مناد الصنهاجي، وسبب قدومهم إلى الأندلس هو الخلاف الذي نشأ بين زاوي بن زيري وأخيه ماكسن من جهة وابن أخيها الأمير باديس بن المنصور (386-406هـ / 995-1016م)، ومقتل ماكسن، وهروب زاوي وابني أخيه حبوس وحباسة، وقدم خدم هؤلاء الدولة العامرية، ثم ناصروا سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمستعين ضد محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمهدي، ومكنوه من الخلافة سنة 403هـ / 1012م، فأقطعهم مدينة إلبيرة فاخبطوا بجانبها مدينة غرناطة، وأصبحت تابعة لهم.<sup>3</sup>

ولد الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة 447هـ / 1055م، في فترة حكم جده باديس، وقد نشأ في هذه الأسرة القوية التي جاءت من بلاد المغرب واستطاعت أن تؤسس سلطانا لها في بلاد الأندلس، فيكون قد ورث طبائع وأخلاق منها ممن رعاها في طفولته، إذ يصرح بذلك قائلا: "ولقد طالعت من مولدي أشياء ميزتها طبائعي وأخلاقي، على أن واضعيه ألفوه ونحن في حال الطفولة"<sup>4</sup>

وتوفي بلقين والد الأمير عبد الله مقتولا سنة 456هـ / 1064م، بعد أن تأمر عليه وزراء جده، الذين أوقعوا بينه وبين نديمه الوزير اليهودي يوسف ابن النغريلة، فدس له السم في إحدى جلساتهم، وتوفي بعدها بيومين وهو يعاني من الآلام<sup>5</sup>، وقد أثرت هذه الوفاة على الناس، واعتبروها من أكبر الرزايا، وزاد كرههم للوزير اليهودي، لما كانوا يرجونه من العدل على يدي بلقين<sup>6</sup>، وأثرت الحادثة على باديس جد الأمير عبد الله، فقد اتهم بعض وزرائه وقام بقتلهم، وأخلد

نظرا لشح المعلومات عنه إلا ما ذكره هو عن نفسه، وعن كتابه الذي يعتبر نسيجا فريدا وسبقا في كتابة الأمراء مذكراتهم وتاريخ أسرهم وما عايشوه خلال فترات حكمهم، وستحاول استخراج المنهج والأسلوب الذي انتهجه ابن بلقين في كتابة مذكراته، وننوه إلى أن هذه المذكرات لم يتم إلى الآن دراستها وتحليلها بالشكل الذي يبين أهميتها ودورها في كتابة تاريخ بلاد الغرب الإسلامي.

### أولا/ التعريف بالكاتب والكتاب:

#### 1- ترجمة عبد الله بن بلقين:

لا توجد ترجمة للأمير عبد الله بن بلقين في كتب السير والتراجم، التي كانت تخصص لدراسة أبرز علماء الأندلس، وما ذكر لا يعدو أن يكون إشارات مثلما أورده النباهي في حديثه عن بعض القضاة الذين ترجم لهم، فأشار إلى اسم الأمير وعنوان كتابه<sup>1</sup>، ويعود سبب ذلك حسب أحد الباحثين، إلى أن الأمير لم يساهم في توجيه الاتجاهات الفكرية، ولم يؤثر فيها، كما كان الأمر بالنسبة لبعض الأندلسيين المعاصرين له كابن حزم وابن حيان، كما لم ينل اعتراف معاصريه من المؤرخين المتأخرين عنه به عالما عظيما<sup>2</sup>.

ولذلك يعول على ما كتبه الأمير عن نفسه في مذكراته، وما أورده ابن الخطيب في "الإحاطة" و"الأعلام"، بالإضافة إلى ما جاء عند ابن عذارى لمحاولة رسم صورة عن حياة الأمير عبد الله في مختلف جوانبها سواء ما تعلق بمولده ونسبه، أو ثقافته وشخصيته، وفترة حكمه.

#### 1-1- أصله ونشأته:

هذا التعيين، ومن خلال بعض النصوص يمكن توضيح هذه المسألة، فقد ذكر ابن الخطيب أن رجال وشيوخ قبيلة صنهاجة اتفقوا بعد وفاة باديس على أخذ البيعة لعبد الله، وعدلوا عن مبايعة عمه " لما رأوا من سوء سجيته، وانهماكه واجترائه على سفك الدماء"<sup>12</sup>، معنى ذلك أن البيعة جاءت عقب وفاة باديس، وأن الفضل يعود إلى رجال وشيوخ قبيلة صنهاجة. وقد أقدموا على هذا الأمر رغبة منهم في السيطرة على الحكم، لأن الأمير عبد الله كان صغير السن<sup>13</sup>، ويبدو أن الأمر سار على هذا النحو، خاصة أن صنهاجة استعادت نفوذها وإرغامها لباديس على تعيين سماجة وزيرا، كما تمت العملية بتواطؤ نساء القصر وعلى رأسهم والدة الأمير عبد الله.<sup>14</sup>

وعلى كل فقد آل ملك غرناطة للأمير عبد الله، ولم يتجاوز سنه الثامنة عشر، لكن بوجود الوزير سماجة وما امتاز به من حنكة سياسية، استطاع أن يتغلب على كل الصعاب التي واجهت الدولة، ويعود الفضل إلى هذا الوزير في الحفاظ على سلامة أراضي غرناطة في هذه الظروف العصيبة التي ميزت تاريخ الأندلس.<sup>15</sup>

ويصف الأمير عبد الله فترة حكمه التي تلت الصلح بينه وبين المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، وسبقت سقوط طليطلة 478هـ/1085م، بقوله: " ففرت الأحوال قرارها، وتبى كل واحد منا بملكه، إلا ما كان من سيف براني يعترض بلادنا من الروم"<sup>16</sup>، وقد شهدت هذه الفترة دورا هاما للأمير عبد الله، خاصة في تنظيم أمور مملكته الداخلي، فقد عزل سماجة وبطانته، وقيامه بحملات مظفرة ضد خصومه.<sup>17</sup>

لقد نبه سقوط طليطلة ملوك الطوائف بالخطر القادم من الشمال، فقد ازدادت تحرشات ألفونسو السادس بهم، مما اضطرتهم

إلى الراحة، وزهد في طلب البلاد لكبر سنه وموت ابنه.<sup>7</sup>

وأثرت هذه الحادثة على الأمير عبد الله، فقد كانت سببا في انقطاعه عن الدراسة في سن مبكرة (ثمانى سنوات)، فقد نقله جده بعد وفاة أبيه من المكتب بحجة أنه تلقى ما يكفي من المعرفة في الكتابة وتلاوة القرآن<sup>8</sup>، لكن يبدو من خلال ما جاء في مذكراته أنه يمتلك رصيذا هاما من الثقافة المتنوعة بين اللغة العربية وآدابها، وعلوم الشرع، والتي يبدو أنه استطاع أن يكون نفسه، فقد أشار إلى ذلك بقوله: " قيل لرجل: من أين لك هذا العلم؟ قال: قلبا عقولا ولسانا سؤولا"<sup>9</sup>.

وقد أراد باديس من خلال هذا العمل، أن يدرج حفيده على شؤون الحكم وأمور الدولة، فقد حرص عند ترشيح أحد بنيه للولاية بعده، أن يمرنه ويعمله في جميع خدمته، كي يتدرب ولا يخفى عليه من أمور الدولة ما يحتاج إليه في نفسه، وقد صرح له بذلك قائلا: "... فعليك بإحضار ذهنك لجميع ما يكون مني، وما ينقضى في دولتي أيام هذه الفتن؛ فإن الزمان أشر، والأيام أقصر من أن تدرك تعلم كل شيء يعنى به الملوك لأبنائهم"<sup>10</sup>، وقد انعكست هذه التنشئة السياسية التي أرادها له جده، على حكمه، فقد تولى الحكم ولم يتجاوز سن الثامنة عشر من عمره، فبماذا تميزت هذه الفترة من حياته؟

2-1- عبد الله بن بلقين أميراً على غرناطة (465-483هـ/1038-1090م):

بعد وفاة بلقين بن باديس، وولي عهده سنة 456هـ/1064م، سعى حفيد عبد الله وليا لعهد، مفضلا إياه على ابنه ماكسن، شقيق عبد الله الأكبر تميم<sup>11</sup>، لكن مذكرات الأمير عبد الله لا توضح طريقة تعيينه في ولاية العهد، ولا سبب

## 4-1- ثقافته وشخصيته:

سبقت الإشارة أن الأمير عبد الله توقف عن الدراسة المنتظمة في سن مبكرة، ولكنه استطاع أن يكون نفسه، وقد عكست مذكراته مدى اطلاع الرجل، وثقافته المتنوعة، وهي دليل على الطابع الشمولي الذي كان يخضع له أبناء الأندلس في تعليمهم<sup>22</sup>، كما أن الظروف التي ميزت حياته في منفاه، تكون قد ساعدته على تحصيل هذه الثقافة.

ومن دلائل ثقافته المتنوعة، أن الأمير كان يحفظ الكثير من شعر العرب وأمثالهم عن ظهر قلب، فقد صرح أنه سيضيف "لمعا من آداب وسير تحضرني، مما يختلج في خاطر، ويجريها الإنسان بصحبة الزمان وتنقله في الحالات"<sup>23</sup>، كما أنه من المستبعد أن يكون أخذ إلى منفاه كتباً ودواوين شعرية<sup>24</sup>، بالإضافة إلى ذلك فإن الأمير كان يقرض شيئاً من الشعر، بالرغم من الصعوبة التي كان يجدها في ذلك، وقد شهد له ابن الخطيب بأنه قرأ "مقطوعات من شعره تشهد بفضله"<sup>25</sup>، ولا غرابة في هذا، إذ اشتهر على بعض ملوك الأندلس نظم الشعر وقرضه، وكان من أشهرهم المعتمد بن عباد آخر ملوك إشبيلية.

واهتم الأمير كذلك بمسائل العقيدة والفقه، فتجده متحمساً للدفاع عن الدين الإسلامي أمام مزاعم الملحدين، وهو بذلك يضاها أعلام الفقهاء الأندلسيين الذين برزوا في هذا المجال كابن حزم وأبو الوليد الباجي، ويخوض الأمير في مسائل التنجيم، وانتشار الخمر في عهد ملوك الطوائف، الذي حرّمته الشريعة الإسلامية<sup>26</sup>.

أما عن شخصيته، فقد تأثر بمحيطه، والتكوين الذي تلقاه في ميدان السياسة وغيرها من ميادين الحياة، فالتزامة بتعاليم الدين

إلى الاستغاثة بالمرابطين، وكان من بينهم الأمير عبد الله، كما شارك معهم في موقعة الزلاقة 479هـ/1086م، وتطورت الأحداث في الأندلس بعدها، فقام المرابطون بخلع ملوك الطوائف، بداية بالأمير عبد الله، الذي حاول الحفاظ على ملكه، لكنه فشل وتم نفيه إلى أغمات<sup>18</sup>.

## 3-1- منفاه ووفاته:

استسلم الأمير عبد الله للأمر الواقع، وسلم نفسه للمرابطين فعفا عنه يوسف بن تاشفين، ونفاه إلى أغمات، ويصف ابن الخطيب حالة الأمير عبد الله المادية بقوله: "ونقل عبد الله إلى مراکش، فاستقر بها هو وأخوه تميم، وحل اعتقالهما، ورفه عنهما؛ وأجروا المرتب والمساهمة عليهما. وأحسن عبد الله الطاعة مع لين الكلمة، فقضيت مأربه وأسعفت رغبته، وخف على الدولة؛ فاستراح واستريح معه، ورزق الولد في الخمول، فعاش له ابنان وبنات جمع لهم المال، فلما توفي ترك لهم مالا جما"<sup>19</sup>، وقد ساعدته هذه الحالة مع صغر سنه الذي لم يتجاوز الست وثلاثين سنة على أن يشغل نفسه بالقراءة ومتابعة أخبار الأندلس، إضافة إلى كتابة مذكراته، ويعتزل السياسة<sup>20</sup>.

وإذا كان ابن الخطيب، قد وصف حياة الأمير في منفاه، والتي يلاحظ أنها كانت رغبة، ولم يتأثر فيها بالظروف التي تختلف عن بلاده غرناطة، فقد اعتبر بعضهم أغمات سجنا فسيحا لا لون فيها إلا الأصفر والأزرق، عكس غرناطة الخضراء بغطائها ورققة نهرها<sup>21</sup>، إذ لم يسجل في مذكراته ما يشير إلى نغمته عليها، فإن المصادر لا تذكر تاريخ وفاته، وهذا ما يبرز حقيقة تهميش هذا الرجل، إذ كيف بشخصية مثل الأمير عبد الله كان لها دور بارز في تاريخ الأندلس، لا يعلم تاريخ وفاته ولو كان في منفاه!؟

حظيت مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين باهتمام الباحثين، منذ اكتشاف المخطوطة وإخراجها إلى الوجود، من طرف المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، الذي عنونه بالمذكرات، فإضافة إلى تحقيق المخطوط ثلاث مرات، انكب عليه الباحثون بالدراسة والتحليل، وعلى بعض هؤلاء التعويل في هذه الورقة للتعريف بالكتاب من حيث محتوى الكتاب وأهميته، وكذا أسلوب الكاتب ومنهجه.

### 1-2- محتوى الكتاب وأهميته:

وضع عبد الله بن بلقين كتابه على شكل مذكرات، احتلت فيها مملكة غرناطة مساحة كبيرة منها، فكان نصيبها حوالي 150 صفحة، شملت مختلف شؤون الدولة، سواء أوضاعها الداخلية، أو علاقاتها الخارجية، والنظم السائدة في المملكة في المجالات المختلفة، الإدارية والعسكرية والاقتصادية والمالية، بالإضافة إلى العناصر المشكلة للمجتمع الأندلسي، والعلوم التي كانت حاضرة في دور التعليم والأوساط الثقافية.<sup>34</sup> وركز الحديث عن المملكة خلال فترة زمنية محددة، كان شاهدا عليها، فجاءت المعلومات أكثر دقة، واستغرقت ثلثي الكتاب، مقارنة بفترة حكم سابقه من الأسرة الزييرية، التي لم تتعدى الثلث من مؤلفه<sup>35</sup>، وحاول في هذه المذكرات، أن يدافع عن نفسه وعن ملوك بني زييري، في بعض القضايا، ويظهر ذلك من خلال عنوان الكتاب " التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زييري في غرناطة"، فمن ذلك محاولة رفع التهمة عن الزييريين الذين اتخذوا اليهود وزراء لهم، فيرجع سبب ذلك بقوله: " وكان في اليهودي من الكيس والمدارة، للناس ما طابق الزمان الذي كانوا فيه، والقوم الذين يرمونهم، فاستعمله لذلك استيحاشا لغيره، ... ولأن هذا يهودي لا تشره نفسه إلى ولاية، ولا هو أندلسي

الإسلامي واضح، إذ عرف عليه بعده عن الملدات التي اتسم بها معاصروه، وفي هذا الشأن يصرح أن والده وجده كانا يعاقران الخمر أما هو " فقد تاب الله عليه منها"<sup>27</sup>، كما عرف عليه بره بوالدته وتعلقه بها، إذ يذكر أن عفوه عن أخيه تميم جاء مرضاة لأمه، التي ما زالت على قيد الحياة،<sup>28</sup> ويذكر عن أمه عند إخراجها من طرف المرابطين: " وكان عند خروجي، قد وقع في نفسي من خوف الثقافة ما خشيت الفرقة منها إن تركتها في القصر؛ فخرجت معها ولم ألتفت إلى ما سواها"<sup>29</sup>.

أما عن قواعد اللعبة السياسية فقد كان عارفا بها نظريا وعمليا<sup>30</sup>، ففي هذا الجو المليء بالفتن والدسائس، تجد الأمير عبد الله، لا يثق في الرجال، فبعد تخلصه من سماجه، لم يستعمل لذلك أحدا<sup>31</sup>، وصرح " أن لا وزير لدولتي غير نفسي"<sup>32</sup>، وهذه السمة تؤكدها شهادة أحدهم أن الأمير كان يستوزر الأغمار<sup>33</sup>، وإن كان تفسيره لها بالخوف والجبن، لكن مشاركته في الأحداث التي عرفتها البلاد خاصة في المعارك والغزوات، دليل على انتفاء هذه الصفة عنه، وإن أقر هو بذلك، التي قصد به الخوف من الفتن والدسائس، وهو الذي عاشها خلال عهد جده وأدت إلى وفاة والده كما تمت الإشارة إليه سابقا.

وخلاصة القول فإن الأمير عبد الله بن بلقين، تولى شؤون مملكة غرناطة ولم يتجاوز سن الثامنة عشر واستطاع أن يحافظ على سلامة المملكة، بفضل ما تمتع به من قدرة سياسية، التي جبل عليها من خلال بيئته التي احتضنته، وثقافته المتنوعة، وانفرد عن غيره من ملوك الطوائف بتدوين الأحداث التي حضرها في مذكراته، فبماذا تميزت؟

### 2- التعريف بمذكرات عبد الله بن بلقين:

يقدمها عن الأحداث التي عرفتها الأندلس في النصف الأول من القرن الخامس هجري.<sup>41</sup>

ويقدم الأمير عبد الله في كتابه نوعا جديدا من الكتابة التاريخية، والمتمثلة في المذكرات، إذ لم يسبق لتاريخ الشرق الإسلامي ولا غيره، أن قامت شخصية ملوكية بكتابة هذا النوع من التأليف، الذي سيصبح أنموذجا لنوع جديد من الكتابة التاريخية في الفترات اللاحقة،<sup>42</sup> هذا النوع الذي يختلف عن غيره من الكتابات، إذ هو اهتمام شخصي، تفقد قيمتها إذا ناب الشخص عن غيره في كتابتها، وفي الظروف العادية.<sup>43</sup>

بالإضافة إلى ذلك فإن مذكرات الأمير عبد الله، تعتبر الكتابة الوحيدة التي تمثل النظرة البربرية الأندلسية، لأحداث القرن الخامس هجري، مقارنة بالكتب التي أرخت للفترة ذاتها كابن حيان وابن حزم، والبكري والعدري وغيرهم<sup>44</sup>، كما أن هذه المذكرات تعبر عن وجهة نظر أحد ملوك الطوائف، الفترة التي تؤرخ من مؤلفات كتاب أندلسيين ذو ميول أموية، كابن حيان وابن حزم المعادين أشد العداء لملوك الطوائف.<sup>45</sup>

ويمكن القول بالنظر إلى أهمية الكتاب، أنه مصدر هام لتاريخ الأندلس عامة، وغرناطة خاصة. في جوانها المختلفة خلال عصر ملوك الطوائف، وبعضهم يرى أن أهمية الكتاب بصفته مصدرا تاريخيا تعود إلى حد بعيد إلى أصالة منهجية عبد الله التاريخية<sup>46</sup>، فما هي أهم خصائصها؟

## 2-2- المنهج والأسلوب:

اختار الأمير عبد الله لعرض مواضعه، منهج الموضوعات، مع مراعاة الترتيب الزمني المنطقي، بداية بأقدمها، وصولا إلى آخرها، وأظهر

فيتقي من إدخال داخله مع غير جنسه إلى السلاطين... ولم يكن تسلط على مسلم في حق أو باطل"<sup>36</sup>

ومن القضايا التي أهتمت الأمير عبد الله، اهتمامه بالتواطؤ مع الروم ضد المرابطين، ولذلك يحاول في أكثر من موضع الدفاع عن نفسه، فعن ذلك يقول: "ولو أني أردت الانحياش للنصارى كالذي قيل، لم يصل المرابطون إلى سبتة، إلا ومدينة غرناطة مملوءة منهم، وكنت أستطيع ذلك، وكانت لي في المدة برهة وفسحة طويلة"<sup>37</sup>.

وتكمن أهمية الكتاب في حصر الموضوع في الفترة التي عاصر معظم أحداثها، وشارك في صنعها وتوجيهها بحكم موقعه في أعلى الهرم السياسي الإداري في مملكته<sup>38</sup>، فهو بذلك شاهد عيان للكثير من الأحداث فمن ذلك أن مذكراته تعتبر المصدر الوحيد، الذي يورد ما جاء من اتفاقية المرابطين مع ملوك الطوائف، باعتباره كان أحد الأطراف المشكلة للوفد الأندلسي، وتقضي الاتفاقية بتوحيد الجهد الحربي في مواجهة ألفونسو السادس، وعدم تدخل المرابطين في شؤون المملك الطائفية<sup>39</sup>، وفي حديثه عن معركة الزلاقة يسردها بواقعية ودون مبالغة، فبينما يسبب المؤرخون المتأخرون الذين كتبوا عن المعركة ويبالغون فيها، يكتفي الأمير عبد الله بأن يوسف بن تاشفين خرج منها "على حال سلامة ونصر"، ويضيف أن خسائر الجانبين كانت كبير وهي عند المسلمين أقل<sup>40</sup>.

ويغطي الكتاب تاريخ الثلاثين سنة، التي تلت نهاية تاريخ ابن حيان، والتي لم تصل عنها إلا معلومات عن طريق مؤرخين متأخرين، وتمكن هذه المذكرات من التثبيت من صحة ما ورد في تاريخ ابن حيان، من خلال المادة الجديدة التي

-الإصلاح العسكري للمنصور بن أبي عامر على عهد الخلافة الأموية في الأندلس:

في إطار حديثه عن أولية قدوم بني زيري إلى الأندلس والأسباب الممهدة لذلك ثم قيام ملوك الطوائف يورد لنا الأمير عبد الله بن بلقين<sup>48</sup>، بعضا من الإصلاحات العسكرية التي قام بها الحاجب المنصور بن أبي عامر المعافري (371-392هـ/981-1002م) الذي كان هو المتحكم في الخلافة الأموية على عهد الصبي هشام، واستطاع بحنكته ودهائه أن يصفى كل خصومه ويزيحهم من طريقه، فصفى له الحكم في الأندلس وصار هو الأمر الناهي، ومن مناقب المنصور التي لا زال التاريخ يحفظها له عنايته بالجيش ومتابعته للجهاد ضد نصارى الأندلس، وكانت له في كل عام غزوتان سميت بالصوافي والشواتي<sup>49</sup>. ومن إصلاحاته المذكورة أن جعل جنوده قبائل مختلفة ليسهل عليه التحكم فيهم، وكذا لتقويتهم استجلب من بلغه فروسيته وشدته من رؤساء البربر فقوى بهم جيوشه، وأعطى الجنود مرتباتهم مشاهرة بدلا من استغلاله للأرض وإهمالها، حتى أن الناس قد تسارعوا إلى الجهاد، وهبوا من كل بلاد لغزو النصارى، ولم يزل هذا النظام معمولا به في الأندلس حتى جاء عهد المرابطين فأرجعوه إلى سابق عهده<sup>50</sup>.

وكان من بين من قدم من البربر وترأس الجنود زاوي بن زيري وابن أخيه حبوس بن ماكسن، حيث كان يُرجع إليهما في الرأي والمشورة.

-المعركة بين زاوي بن زيري وثوار الأندلس:

يحدثنا ابن بلقين عما أحدثه قيام دولة بني زيري ودعوة أهل البيرة لهم وأخذهم لزام السلطة فيها، فقد حسدهم ثوار الأندلس على ذلك وجمعوا لهم الجموع لمنازلتهم، وأخذ السلطة منهم، وقدموا عليهم رجالا لقبوه بالمرتضى وزعموا أنه قرشي، لكن بني زيري وعلى رأسهم زاوي بن زيري قد أعدوا العدة لمواجهتهم واستوثقوا من مؤازرة أهل المدينة لهم، ثم

قدرة على اختيار المادة الهامة، وترك المعلومات السطحية، ولم يكتف بالسرد والوصف، بل أخضعها للعقل، وحاول مناقشة التطورات الحاصلة على الساحة.

وتفادى صاحب المذكرات الحشو والإطناب، وابتعد عن التكرار مفضلا الاختصار والدقة، وهذا مع ساعده على تجنب الوقوع في التناقضات.

ولم يكتف الأمير عبد الله بذكر الأحداث، بل سجل بعض الحوارات والنقاشات، كما لو كان كاتباً عصرياً، يسجل ما يجري في اجتماع رسمي.

أما عن أسلوبه، فقد جاء سلسا مرسلا، لا تزويق فيه ولا تنميق، فقد ابتعد عن السجع، مستعملا الإشارات والتعابير الدارجة، المستعملة عند أهل غرناطة، وهي تبرز تأثير الأمير باللغة العامية الأندلسية<sup>47</sup>، فقد تأثرت قواعد اللغة العربية عنده بهذه اللهجة، وذلك كثير في كتابه.

ثانياً: المظاهر الحضارية من مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين

1-الجانب العسكري:

وخريفًا. وحفظت أموال الخراج لخزينة الدولة دخلا مضمونا مستمرًا.

-تحصيل الأموال في الدواوين وتعاهد الفقراء بالأعطيات:

كانت الدولة تجمع أموال الناس في الأندلس والمترتبة عن الخراج في دواوين خاصة ثم تقوم بإخراجها عنهم في شكل إعانات للفقراء والمساكين، وأعطيات للجنود<sup>54</sup>، وهذا ما يقف دليلا على حرص السلطة في الأندلس على جرد الأموال وتحصيلها، وكذا كتابة الأنفس المترتب عليها دفع الأموال لبيت المال والفئات المستحقة للعطاء، لكن لا شيء من هذه الدواوين وصل إلينا ويعود السبب الأكبر إلى حالة الفتن والثورات التي كانت تعصف بالبلاد بين عصر وآخر، وتتلّف كل ما وجد في طريقها، وإتيان الغزو المسيحي في الأخير على كل ما تبقى وما يرمز للحضارة الإسلامية الزاهرة في الأندلس.

-تسلط اليهود على الجباية:

يعد هذا الأمر من الأمور الجديرة بالاهتمام في تاريخ السلطة الإسلامية، التي كانت تسمح لنفسها بالتعدي على المعاهدات بين الدولة الإسلامية وأهل الذمة، حيث كان هؤلاء يتمتعون بمزيد من الحرية حتى وصل بهم الأمر إلى التحكم في رقاب المسلمين، ويعطينا ابن بلقين نظرة على ما كان يمثل اليهودي "ابن النغيلة" في هرم السلطة بغرناطة وتعاظم أمره حتى أصبح هو الأمر النهائي، وقد بدأ أمره ككاتب لدى أبي العباس كاتب حبوس، وبدءا ومكر استطاع أن يحرز مركزا هاما وهو منصب الوزارة، وبسببه آلت مناصب جباية الأموال لليهود في إقليم غرناطة، وتسلطوا في ذلك<sup>55</sup>.

وقد حق فهم قول أبي حفص العروضي الزكري ما كان بدانية على عهد مجاهد العامري في

بدأوا في اختطاط مدينة غرناطة على سفح جبل شلير لتكون حصنا منيعا ضد أعدائهم، وبدأت المواجهة بعد حصار أهل الأندلس لهم، ورغم التفاوت العددي في الجنود فقد كان أهل الأندلس في أربعة آلاف وبنو زيري مع من معهم من البربر في ألف، إلا أن النصر كان حليف بني زيري الذين دحروا أعداءهم واستطاعوا هزيمتهم في وقت وجيز<sup>51</sup>.

-تنظيم حبوس بن ماكسن الجيش والاستكثار من الجنود:

لما رحل زاوي بن زيري عن الأندلس إلى القيروان وتطلع إلى ملك إفريقية، ومات هناك مسموما، اجتمع أهل غرناطة على تولية ابن أخيه حبوس بن ماكسن، الذي اهتم بالجيش اهتماما بالغًا، وقلّد بني عمومته جهات مملكته، وأمرهم بالاستكثار من الأجناد، وأن الحظوة عنده لمن أنفق أمواله في تقوية جيشه وانتخاب الرجال الأشداء له، فتنافس قاداته في جلب أقوى الرجال وإنفاق الأموال في تجهيز الجند، فقوي بذلك جيش المملكة وعظم، وذاع صيته، وشاع أمره فأصبح مرهوبا في الأندلس<sup>52</sup>.

2-الجانب الاقتصادي

-إقطاع الأراضي والإنفاق على الأجناد (المرتبات):

بسبب أن أهل الأندلس قد شغلوا بالغزو، فدأهم أهملوا أراضيهم، فصالحهم المنصور على بقاءهم في بلادهم وخدمة أراضيهم وإعمارها، وجعل جباة يجمعون خراج الأراضي ويعطوا من أموالهم إلى الدولة ما تستعين به على تموين الجيوش وإعطاء الجنود مرتباتهم<sup>53</sup>، وحققت هذه السياسة المالية نتائج باهرة، إذ نشط الناس إلى الجهاد، وتقووا بالأجور التي كانوا يتقاضونها، إذ كانت تحفظ لهم ولعائلاتهم -التي يترونها وراءهم في حال الغزو- عيشا كريما، وبالأخص أن هذه الغزوات كانت مستمرة في عهد المنصور ربيعا

- إعطاء الضريبة لألفونسو السادس ملك قشتالة:

لما قصد ألفونسو السادس ملك قشتالة غرناطة وحاصرها تمهيدا لأخذها، وبعث إلى ابن بلقين في طلب خمسين ألف مثقال، اعتذر إليه واشتكى له قلة المون وأن ذلك لا يقدر عليه، بعث ابن بلقين في محاولة لقبول ألفونسو بنصف المبلغ وهو خمسة وعشرين ألفا، ثم زيد له خمسة آلاف فتم المبلغ ثلاثين ألفا إضافة إلى فرش وثياب وأنية كثيرة، فقبلها ورضي وعاد إلى بلاده<sup>61</sup>. وزاد له بأن أعطاه حصني قاشتره ومارتش على مقربة من غرناطة، واتفق معه على ضريبة سنوية يعطيها له مقدارها عشرة آلاف مثقال في العام، واتفق يقضي بعدم الاعتداء كل منهما على الآخر<sup>62</sup>. وهذا الأمر كان قد دخل فيه كثير من ملوك الطوائف في الأندلس إذ كانوا يتقربون إلى ألفونسو السادس بهدايا وتحف وأموال يقتصونها من شعوبهم ويرهقون كواهلها بضرائب متزايدة، لقاء حماية ملك قشتالة لهم من إخوانهم المسلمين الذين كانوا يتحينون أدنى فرصة لأخذ ما أتيج لهم من حصون ومدن أندلسية، وألفونسو في كل هذا يضرب هذا بذاك ويمني هذا وذلك، ويوسع مملكته حتى أصبح يملك معظم الأندلس، إلى حين أتى المرابطون واستعادوا قوة الإسلام، وأعادوا قشتالة إلى حدودها الأولى.

- كثرة أموال المؤتمن ابن ذي النون:

ذكر ابن بلقين كثرة أموال المؤتمن ابن ذي النون وأن لديه ذخائر لم يجتمع عند ملك مثلها، وكان يربها لأصحابه، ورغم كثرتها فإنه كان زاهدا فيها<sup>63</sup>.

- أموال بن بلقين وكثرتها:

لما دخل المرابطون غرناطة واستسلم لهم عبد الله بن بلقين، وجدوا عنده من الأموال والذخائر والتحف مالا حد له، وقد كان مأثورا عنه أنه يقيد

عصر ملوك الطوائف، وقد طولب بمكس كان يتولاه يهودي:

حكم الشريعة والمرورة فينا  
أمرت به، تُرى نسخ الإله الدينا  
وأرى اليهود بجزية طلبونا<sup>56</sup>

-تحصيل أموال اليهود بعد قتلهم:

وحيثما زاد تسلط ابن النغيلة وتحكمه في السلطة على عهد باديس بن حبوس، وحاولوا مداخلة ابن صمادح وأغروه بالوثوب إلى غرناطة، فُضحوا، وتبينت مكائدهم، وثارت عليهم العامة في صفر من سنة 459هـ، وقتلوا كل يهودي ألفوه في المدينة وعلى رأسهم ابن النغيلة، وتمت مصادرة جميع أموالهم، والتي جمعوها خلال سيطرتهم على السلطة، ولا شك أنها كانت كبيرة جدا، حتى وصفها ابن بلقين "وحصلوا على عظام من أموالهم"<sup>57</sup>. وكذا فقد تحصلوا على مبالغ عظيمة من أموال يهود جيان<sup>58</sup>.

-أموال يهود أليسانة وعظمتها:

ويذكر ابن بلقين كثرة أموال يهود أليسانة، وأنه قد وجد عند حفر سور قصر الحمراء، ذهباً كثيرا مخبأ، وعلم أن أحد اليهود كان بيته بأساس هذا البينيان، فأراد أن يستعلم عن أموالهم فبعث إليهم، وسبق أن فرض عليهم أموالا ليتقوى بها، لكن رئيس طائفتهم ويسعى ابن ميمون حرضهم على التمرد، وحمل السلاح<sup>59</sup>، فنهض إليهم ابن بلقين في جيش عسكري مقربة من المدينة، ثم تدخل بعض مقريه وأرادوا الصلح فكان لهم ذلك، على أن يعزل رئيس طائفتهم ويصبح كل يهودي منهم مسؤولا عن نفسه، مع العلم أن يهود أليسانة كانوا كلهم تقريبا من اليهود<sup>60</sup>.

**-بناء المعادل والحصون:**

يقول ابن بلقين أنه كان دائم التعهد لجهاته ومعاقله وحصونه، وأنه لما تهادى المعتصم ابن صمادح ألمرية وجاره، في إحداث الفتن بينهما، ومحاولته لأخذ بعض حصونه، أمر ابن بلقين ببناء أسوار منيعة على الحصون المتاخمة لمدينة ألمرية بأقصى سرعة، فبنيت سبعة حصون حتى ضاق الأمر على ألمرية، وكان مع ذلك ابن صمادح يهزم في كل لقاء مع جنود بني زيري، فاضطره إلى المصالحة، وعادت العلاقة بينهما إلى ما كانت عليه من قبل، ثم أمر بعد ذلك ابن بلقين بهدم تلك الأسوار والحصون المبتناة، فخفف الضغط على مدينة ألمرية، وتنفست بعد ضيق المحاصرة<sup>70</sup>.

**الخاتمة:**

الأمر عبد الله بن بلقين، رغم تعليمه القليل في الدراسة المنتظمة، فإنه استطاع أن يكون نفسه بالقراءة والسؤال، ورغم توليه الحكم وهو صغير السن، إلا أنه استطاع أن يقف في وجه الأخطار الخارجية والداخلية، التي كانت تحرق بمملكة آبائه، وحافظ على ملكهم إلى أن جاء المرابطون وعزلوه كغيره من ملوك الطوائف، في وقت لم يحافظ غيره من ملوك الطوائف على ملكهم مثل مملكة طليطلة، وهذا الجهد الذي بذله الأمير، جاء انعكاساً للتكوين الذي أراده له جده من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يمكن نسيان أنه من سلالة عائلة مشهورة بالسياسة والحرب.

وقد احتوت مذكراته على جوانب مهمة من تاريخ الحضارة في الأندلس، أبرزها الجوانب العسكرية والاقتصادية والعمرانية، ولا زال فيه الكثير من الجوانب الاجتماعية والثقافية التي يمكن الاستفادة منها في التأريخ لهذه المنطقة التي شهدت حكماً إسلامياً لمدة ثمانية قرون، عرفت فيها الحضارة أوج تطورها وشهد لها بذلك القاضي والداني.

كل أمواله في أزمة، فلا درهم إلا بزمام وذكر، ومما ذكره من أمواله عشرة عقود من أنفس الجواهر، وذهب مبلغه ستة عشر ألف دينار مرابطية، وخواتم<sup>64</sup>، ومما خبأته أمه ذكر أربعة آلاف مثقال ونحو خمسة عشر عقداً،<sup>65</sup> وهذه الأموال جزء يسير قد خبأه لوقت الحاجة، وعلى هذا تكون أمواله عظيمة لا حصر لها، وقد استحوذ عليها المرابطون كلها، وقتلوا حتى الخدم والجواري، مما يكونوا قد أخذوه معهم.

**-تقسيم الذخائر والغنائم من ملوك الطوائف بين ابن تاشفين وابن عمه بالصحراء:**

يورد ابن بلقين أن يوسف بن تاشفين لما أخذ الغنائم والذخائر والأموال من ملوك الطوائف، قسمها بين أجناده، وأهدى إلى ابن عمه الصحراوي قسطاً منها<sup>66</sup>، والصحراوي هذا هو أبو بكر بن عمر اللمتوني، الذي كان أميراً للمرابطين قبل يوسف ابن تاشفين، وهو الذي تنازل له عن الإمارة، وذهب إلى أقاصي الصحراء ليجاهد وينشر الدين الإسلامي في بلاد السودان الغربي<sup>67</sup>.

**3-الجانب العمراني:****-بناء غرناطة وتخريب ألبيرة:**

وكان سبب بنائها أن ثوار الأندلس لما قاموا يرومون غزو بني زيري في مدينتهم ألبيرة، أشار هؤلاء على سكان المدينة أن مدينتهم ليست تصلح للدفاع، وعلمهم أن يختاروا مكاناً منيعاً يصعب دخول الأعداء منهم، فبينون فيه ديارهم ويرحلون إليه بأهلهم، ووقع اختيارهم على هذا البسيط من الأرض الذي تقع فيه غرناطة وكان جبل شلير الذي يسمى جبل الثلج من ورائه<sup>68</sup>، فشرعوا في بنيانه وتولى كل فرد منهم بناء مسكنه من الأندلسيين والبربر، فعند ذلك عمرت غرناطة وأصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة الإقليم، وخربت مدينة ألبيرة<sup>69</sup>.

- <sup>15</sup> ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 234؛ الطيبي، المرجع السابق، ص 210.
- <sup>16</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 82.
- <sup>17</sup> الطيبي، المرجع السابق، ص 21.
- <sup>18</sup> جاد الرب، المرجع السابق، ص 279؛ الطيبي، المرجع السابق، ص 210.
- <sup>19</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 210، قطعة من الإحاطة ملحقه بالكتاب.
- <sup>20</sup> جاد الرب، المرجع السابق، ص 279.
- <sup>21</sup> يخلف، المرجع السابق، ص 300.
- <sup>22</sup> يخلف، المرجع السابق، ص 304.
- <sup>23</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 178.
- <sup>24</sup> الطيبي، المرجع السابق، ص 213.
- <sup>25</sup> نفسه، ص ن.
- <sup>26</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 201.
- <sup>27</sup> نفسه، ص 202.
- <sup>28</sup> نفسه، ص 94.
- <sup>29</sup> نفسه، ص 155.
- <sup>30</sup> جاد الرب، المرجع السابق، ص 284.
- <sup>31</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 141.
- <sup>32</sup> نفسه، ص 86.
- <sup>33</sup> نفسه، ص 209، قطعة من الإحاطة ملحقه بالكتاب
- <sup>34</sup> جاد الرب، المرجع السابق، ص 280، 288؛ ابن عبود، المرجع السابق، ص 244.
- <sup>35</sup> يخلف، المرجع السابق، ص 302، 303؛ ابن عبود، المرجع السابق، ص 252.
- <sup>36</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 31؛ الطيبي، المرجع السابق، ص 203.
- <sup>37</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 128، 129. ينظر أيضا ص 153، ص 12.
- <sup>38</sup> جاد الرب، المرجع السابق، ص 280.
- <sup>39</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 103؛ الطيبي، المرجع السابق، ص 207.
- <sup>40</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 106؛ الطيبي، المرجع السابق، ص 207.
- <sup>41</sup> الطيبي، المرجع السابق، ص 202.
- <sup>42</sup> يخلف، المرجع السابق، ص 293؛ ابن عبود، المرجع السابق، ص 260.
- <sup>43</sup> جاد الرب، المرجع السابق، ص 277.
- <sup>44</sup> نفسه، ص 280.
- <sup>45</sup> الطيبي، المرجع السابق، ص 202.

## الهوامش:

- <sup>1</sup> أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ط5، بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1985، ص 95، ص 97.
- <sup>2</sup> امحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، تق. محمد المنوني، الرباط، مطبعة الثور، 1987، ص 258.
- <sup>3</sup> عبد الله بن بلقين، مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469-483هـ) المسماة بكتاب التبيان، تح. ليفي بروفنسال، القاهرة، دار المعارف، 1955، ص 21، 22. وعن موقف صنهاجة قبيلة الأمير عبد الله بن بلقين من الفتنة في الأندلس انظر: عبد القادر يخلف، الدور السياسي والإسهام الفكري لصنهاجة في الأندلس من القرن 04هـ إلى نهاية القرن 06هـ/10-12م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف عبد القادر بوياية، جامعة وهران 01، 1437-1438هـ/2016-2017م، ص ص 135-147.
- <sup>4</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 179.
- <sup>5</sup> نفسه، ص ص 39، 40.
- <sup>6</sup> نفسه، ص 42.
- <sup>7</sup> نفسه، ص ن؛ أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، طرابلس- تونس، الدار العربية للكتاب، 1984، ص 213.
- <sup>8</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 12؛ الطيبي، المرجع السابق، ص 212.
- <sup>9</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 178.
- <sup>10</sup> نفسه، ص 12.
- <sup>11</sup> الطيبي، المرجع السابق، ص 20.
- <sup>12</sup> لسان الدين بن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية المسمى الأعلام فيمن بوع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تح. ليفي بروفنسال، ط2، بيروت، دار المكشوف، 1956، ص ص 233، 234.
- <sup>13</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 85.
- <sup>14</sup> عبد القادر عثمان محمد جاد الرب، وقفات على مذكرات الأمير عبد الله (دفين أغمات) القرن الخامس هجري، "دراسات إفريقية"، العدد 28، ديسمبر 2002، ص 282.

- <sup>46</sup> ابن عيود، المرجع السابق، ص 245.
- <sup>47</sup> الطيبي، المرجع السابق، ص 213، 215.
- <sup>48</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 16.
- <sup>49</sup> أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأندلس والمغرب، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 231.
- <sup>50</sup> أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، القاهرة، المطبعة المحمودية التجارية، 1935م، ص 229.
- <sup>51</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 23.
- <sup>52</sup> نفسه، ص 26.
- <sup>53</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص ن.
- <sup>54</sup> نفسه، ص 17.
- <sup>55</sup> ابن بلقين، التبيان، ص 32 وما بعدها.
- <sup>56</sup> أحمد بن محمد السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ط1، 1963م، ص 37-38.
- <sup>57</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 54.
- <sup>58</sup> نفسه، ص 55.
- <sup>59</sup> Eliyahu Ashtor, The Jews of Moslem Spain, Translated from the Hebrew by Aaron Klein and Jenny Machlowitz Klein, The Jewish Publication Society of America, PHILADELPHIA, USA, 1984, vol1, P 308.
- <sup>60</sup> ابن بلقين، التبيان، ص 131.
- <sup>61</sup> نفسه، ص 75.
- <sup>62</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 76.
- <sup>63</sup> نفسه، ص 79.
- <sup>64</sup> نفسه، ص 156.
- <sup>65</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 158.
- <sup>66</sup> نفسه، ص 171.
- <sup>67</sup> مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م، ص 16.
- <sup>68</sup> محمد بن عبد الله التلمساني، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1393هـ/1973م، ج1، ص 96.
- <sup>69</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 22.
- <sup>70</sup> ابن بلقين، المصدر السابق، ص 89-90.